



الثورة السورية: خواطر ومشاعر (50)

لا مجاملةً بعد اليوم (3)

حكاية شيخ اسمه "النابليسي"

في الرابع من شعبان سنة 358هـ (30 تموز 973)، دخل المعز لدين الله، رابع الخلفاء العبيديين (الذين نسبوا أنفسهم زوراً وادعاء إلى فاطمة - رضي الله عنها - فسموا أنفسهم الفاطميين)، دخل الإسكندرية قادماً من المغرب، فبدأ بذلك حكم العبيديين لمصر، وقد اعتبره المصريون حكم احتلال لأنّه كان - في حقيقته - غزوًّا قاتمّاً به دولة أجنبية شيعية إسماعيلية لمصر السنية التي كان يحكمها الإخشيديون التابعون اسماً للخلافة العباسية في بغداد.

كان العبيديون مكرهين من عامة أهل مصر وعلمائها بسبب سيرتهم في الحكم، فقد أذلوا العباد وأفقرروا البلاد، ونقضوا عهدهم لأهل مصر بأن لا يفرضوا عليهم التشيع، فحاربوا دين الجماعة وشيعوا القضاء واستولوا على جوامع السنة وأذنوا بحريٍّ على خير العمل، ثم أمر الحكم بأمر الله بنقش سب الصحابة على الجدران... فحرض العلماء الناس على الثورة عليهم، وكان من أشهرهم شيخُ اسمُه أبو بكر النابليسي.

قال ابن الجوزي في تاريخه الكبير "المنتظم": "كانوا ينقولون عن أبي بكر النابليسي أنه قال في حق العبيديين (الفاطميين): إذا كان مع الرجل عشرة أسمهم وجب عليه أن يرمي في الروم سهماً واحداً وفي العبيديين تسعه. فقبض عليه وأخذ إلى الخليفة، المعز لدين الله العبيدي، فسألَه: يلغنا عنك أنك تقول كذا؟ فقال النابليسي: ما قلت هذا. فظنَّ المعز أنه رجع عن قوله وسألَه عما قال، فقال الشيخ: أقول للرجل إذا كان معه عشرة وجب أن يرميكم بتسعة ويرمي العاشر فيكم أيضاً، فإنكم غيرتم الملة وقتلت الصالحين وادعيمتم نور الإلهية! وكان المعز بطاشاً، فضربه بالسياط، ثم أمر بسلخه - وكانت تلك من أساليب تعذيب العبيديين الباطنيين، سبحان الله كيف ورثها منهم أحفادهم المعاصرون! - فتولى ذلك رجل يهودي، وكان أبو بكر يقرأ القرآن ولا يتأوه، فدخلت اليهوديَّ رحمةً له فطعنه في فؤاده ليموت عاجلاً، عليه رحمة الله".

* * *

رحم الله علماء ذلك الزمان، لقد عرفوا أنهم طليعة الأمة وأنهم القدوة لها، وعرفوا أن للعلم ضريبة لا بد من أدائها كاملةً غير منقوصة، وعرفوا أن الصمت في الموقف الذي يفترض فيه الكلام جريمة يحاسبهم عليها الله، فاشرعوا أن يريحوا ضمائركم وأن يُرضوا ربكم وجهروا بكلمة الحق جهراً جلياً واضحاً؛ دفع العالم حياته فأيقظ بموته الأمة وأحيى الدين.

ذلك ما فعله نابلسي ذلك الزمان، أما في هذا الزمان فقد رأينا علماء تقدموا الصحف وجمهروا من فوق المنابر بالحق غير همّابين. ورأينا علماء اختاروا التورية وعمدوا إلى التلميح بلا تصريح، فأدّوا الأمانة منقوصة غير كاملة. ورأينا علماء آثروا الصمت وفرطوا بالأمانة. ورأينا علماء ادعوا العلم وهو منهم براء، وناصروا الطاغية وربطوا مصيرهم بمصيره، أسأل الله أن يجمعهم جميعاً – هو وهم – في دار القرار.

شاهدنا في دمشق شيخاً جليلاً هزّ بخطبه بنيان الظلم وأربع نظام الإجرام، ثم مُنعوا من الخطابة فلم نسمع عنه ولم نسمع منه من بعد. وشاهدنا في دمشق شيخاً جليلاً ما زال يُسمع الفجّرة الظالمين ما يكرهون حتى آذوه باعتداء أثيم، فلم نسمع عنه ولم نسمع منه من بعد. لماذا يا أيها الشيخان الجليلان؟ إن كانوا منعوكما من الخطبة في الجامع فإن الذين يسمعون خطبكم فيها آلاف، ولو سجلّتما للناس كلمات حرة من كلماتكم التي ينتظرون سماعها منكم فسوف تطير في العالم الافتراضي إلى مئات الآلاف. هلا سجلّتما وأذعنتما إذ حال الظالمون بينكم وبين منابر الجامع ولقاء الجماهير؟

ويقولون: إن في دمشق علماء كثيرين لهم جمهور ولكلّمتهم أتباع، وإنهم يتجنّبون الكلام الصريح ويدورون من حول الموضوع فلا يقدّمون للناس رأياً جلياً صريحاً يبيّن لهم ما يفعلون. لماذا يا أيها العلماء الكرام؟ أليس من واجبكم أن تبيّنوا للناس الحق وأن تكونوا قادتهم في المُلِّمات؟

ويقولون: إن في دمشق شيخاً جليلاً مسموع الكلمة، لو أنه استنهض أهل دمشق لنذهب إلى الثورة نصف أهل دمشق، ويقولون: إن هذا الشيخ الجليل خطب يوماً – ولم تكن الثورة قد بدأت بعد – فألقى في خطبته قصيدة عنوانها "متى تغضب؟".

ويقولون: إن هذا الشيخ الجليل لم يُسمع له من أول الثورة صوت. لماذا يا شيخنا الكبير؟ متى يا شيخنا تغضب؟ إذا قُتلت ذرارينا ولم تغضب، إذا اغتصبت حرائرنا ولم تغضب، إذا هدمت جوامعنا ولم تغضب، إذا حُرقت مصاحفنا ولم تغضب، إذا دبست كرامتنا ولم تغضب، إذا كان هذا كله وأكثر منه قد كان ولم تغضب، فيا شيخي: متى تغضب؟

يا علماء الأمة الكبار: إن سوريا اليوم كمصر أيام العبيدين، فهلاً موقف الشّيخ أبي بكر النابلي مع العبيدين؟

المصدر: [الزلزال السوري](#)

المصادر: